خطوط المصاحف الشريفة

والخطاط الحسن الإفراني

إن القرآن الكريم يعدّ في الذروة من الاحترام عند المسلمين فانه هدى للمتقين ، وكتاب لا يماثله كتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . بلغ من البيان غايته ومن البلاغة منتهاها ، فبذل العرب وسائر الأقوام جهداً عظيماً في توقيره واحترامه ، وأذاعوا نسخه واستخدموا كبار الخطاطين في إظهاره بالمظهر الجميل اللائق بحيث لا يدانيه كتاب في إتقانه .

رعوا رسم الخط كما كان في الصدر الأول ومشوه عيناً فصار المثل عند العرب (خطان لا يقاس عليهما خط القرآن وخط العروض) فلم يتعرضوا لتبديل رسم الخط بالنظر لقواعد الصرف لئلا تتطرق للمصحف الشريف شائبة التحريف أو التبديل . وصارت خطوط المصاحف أصلاً لمعرفة خطوط أكابر الخطاطين في العراق لمختلف العصور فحفظت لنا المصاحف الشريفة تلك الخطوط .

وفي الوقت نفسه أن مشاهير الخطاطين حاولوا تخليد خطوطهم فكتبوه لهذه الغاية لنيل الأجر ودوامه ومضاعفته الانتفاع به مدى الأيام .

ومن رجع إلى مدوّنات الكتاب يجد هذه الخطوط في المساجد والمدارس والمتاحف وخزائن الكتب هاته الأمر ، ولا يقتصر ذلك على زمن بل يعود لمختلف العصور ، فيقطع المرء بعظم درجة العناية به وبذل العناء في أمره ، ويعلم جيداً توالي الهمم في إخراجه المخرج الفائق المقبول من أهل الخبر سواء كان أيام الخط الكوفي أو المعقلي اللذين تنوع

الخطاطون في ضروبها كثيراً . وكذا خط النسخ أيام ابن مقلة فمن بعده إلى أيام علي بن هلال المعروف بابن البواب ومن تلاه إلى آخر الدولة العباسية .

وفي خلال القرن الأول الهجري فما بعده رعوا النقط والشكل زيادة في إتقانه كما أن القراءات مكّنت من تسهيل النطق به . والعراق الأثر الحميد في ذلك ، وفي عهد المغول سار خطاطونا على هذه السيرة عاماً فظهر أكابر منهم دوّنوا مصاحف شريفة .

ومن أشهر الخطاطين الذين كتبوا القرآن الكريم بخطهم ياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ومن تلاه فأخذت الأقطار بخط ياقوت وبخط عراقيين آخرين ، ومن ثم انتشر الخط العربي المنسوب في إيران وفي بلاد الترك الروم وفي ما وراء النهر وهراة وكاشغر فكتبت المصاحف بخطوطهم تقليداً للخط العربي المنسوب ، ودام التقليد مدة إلا أن القرآن الكريم لم يغير خطه العربي في إيران وهراة وكاشغر وما والاها ، سوى أن الخط العربي لحقه في أيام الحافظ عثمان وأيام أستاذه حمد الله ابن الشيخ بعض التحوير في الخط لاظهار الذوق في خطاطي الأتراك ، فاكتسب وضعاً لائقاً وذوقاً جميلاً ، وإلى أيامهما كان الخط عربياً خالصاً بحتاً يمثّل خط الخطاطين المشاهير من العرب .

أما إيران وبلاد الترك الروم فقد أدخلوا الذوق في الخطوط الأخرى فالايرانيون كتبوا التعليق والنستعليق والخط الشكستة كما أن الترك كتبوا الرقعة والديواني والتعليق (ويريدون به نفس النستعليق) إلا أنهم لم يكتبوا القرآن الكريم بهذه الخطوط غير أني رأيت بعض الآيات القرآنية مثل سورة (الفاتحة) كتبت عند الايرانيين بخط النستعليق (بخط مير عماد) الأستاذ المشهور ثم رأيت أنهم طبعوا مؤخراً القرآن بخط النستعليق من نسخة كتبت في شهر ديماه (الشهر العاشر) من سنة ١٣٢٢ هـ . ش بخط كاتبها الأستاذ حسين ميرخاني ابن آقا سيد مرتضى الخطاط الشهير (البرغاني) وطبعه نفس كاتبه الأستاذ حسين ميرخاني المذكور في خرداد (الشهر الثالث) من سنة ١٣٢٣ هـ . ش الموافقة لسنة

٩٤٥ م والخط متقن وجميل جداً إلا أن الكتاب في هذا الخط قليلون ولا سيما أن خط التعليق خط منسجم غير منبسط ويصعب وضع الحركات عليه . وعند وضع الحركات عليه لايظهر جميلاً ولكنه فاق هذا الخطاط في الترتيب وأظهره بالمظهر اللائق . ويعد أول من كتب القرآن الكريم بهذا الخط فأعطاه صبغة خطاطي إيران ، كما أن الترك كتبوا القرآن الكريم من أيام حمدالله ابن الشيخ والحافظ عثمان بخط النسخ التركي وهكذا الأمر في بلاد ماوراء النهر وفي الأفغان وكاشغر والهند والباكستان ومن هؤلاء الترك العثمانيون أثروا بخطوطهم فينا لاسيما خط الحافظ عثمان ومن تلاه فصاروا أساتذتنا في الخط لاسيما في خطوط المصحف الشريف كما كنا أساتذتهم فيه قبل ذلك . فالأستاذ سفيان الوهبي البغدادي لايقال إنه كتب المصحف الشريف بخط عربي بل كتبه بخط تركي معـــدّل ويرجع في خطه إلى خطاطين آخرهم الأستاذ الحافظ عثمان .

وهنا يهمنا بيان أن الايرانيين قلّدوا الخط العربي تماماً في المصاحف الشريفة كما أخذوه عن الصيرفي الذي أخذ عن ياقوت المستعصمي ولم يحوّروا فيه فنرى مصاحفهم إلى ما بعد الحافظ عثمان كتبت بالخط العربي الخالص ودامـوا على ذلك إلى أيام الأستاذ أحمد النيريزي ومن تلاه وبعد أن استعرضنا خطوط المصاحف في الأقطار الأسلامية نقول :

إن الخط العربي استمر في الأقطار العربية على هذا الأسلوب وظهر خطاطون في الشام ومصر مثل ابن الوحيد . ونخص في بحثنا نسخة القرآن الكريم المخطوطة بخط نفيس جداً لناسخها الأســـتاذ الحسن البغدادي . فقد كتبها وذهّبها سنة ١٠٥٨ هـ كما صرح به في آخرها فأدى المهمتين ، وقلّ أن يجتمع حسن الخط وحسن التذهيب في شخص واحد . وبأمر من سيادة زعيمنا وقائدنا الفذ عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة أودعت إلى مديرية الأوقاف العامة لانجاز تمثيلها عيناً وأن تطبع بالزنك ليضارع الأصل ويمثل خطه تماماً .

وهذه النسخة في خزانتي وأرجو من الله ان يسهل الخير فيعم النفع بها ليكون مفخرة للعراق وللأقطار العربية والإسلامية كافة .

وبعد أن علمنا مكانة الخط العربي من القرآن الكريم اقتضى أن نوضح أمر الخط في هذه النسخة فانها تعيّن درجة العناية والعناء في إظهاره بجماله في النقش والتزويق ، وجلاله في اتقان الحروف مع تنسيق الكلمات واتساق السطور فاذا نظرنا إلى أي حرف من حروف الكلمة وجدناه كأنه مصبوب في قالب واحد لا يختلف حرف منه عن آخر مماثل له ، فالنون المنفردة مثلا نراها في قالب النونات الأخرى بلا أدنى فرق وكذا أحرف القاف والواو والفاء ونرى الإتساق والإنسجام أيضاً في حروف الكلمة وفي حروف الكلمات المتصلة بها ، وكذا انسجام الأسطر مع بعضها لايفترق عن باقيها قيد شعرة فهو بجميعه نظام متسق منسجم .

والزينة فيه بالغة حدها من الاتقان والتزويق الفاخر والتذهيب الجميل والميناء البديعة وهكذا صنعة التجليد وما فيها من زخرف وما فيها من نقوش بارزة للعيان تعيّن مكانة الصانع العراقي ومثابرته في اتقان عمله .

وأوضّح أن هذه النسخة من المصحف الشريف جرت على قاعدة الخط العربي على خلاف ما في خط الحافظ عثمان في بعض الحروف فاذا رأينا (الواو) في هذا المصحف وجدناها عين (الواوات) الأخرى فيه سوى أن الفرق بينها وبين خط الأستاذ الحافظ عثمان أن رأس الحرف فيه (تحويف) ولا يوجد هذا في مصحف البغدادي كما أن القوس المتصل بالتواء الواو ممتلىء على خلاف ما في هذا المصحف وفي هذا وأمثاله تتجلى بعض الفروق ، وكذا يقال في كافه بالشكل الكوفي (الزيادي) (ﻛ) فانه استمر في الغالب على تحريره في هذا المصحف في حين أن المصاحف الأخرى تكتبه بشكل لام أولية ورأسها معقوف (ﻙ) فخطاطنا لم يراع الاقتصاد والسهولة وإنما كتبه بالشكل الكوفي مع انه يصرف فيه من الوقت أكثر من كتابة ثلاث كلمات . وأمثال هذا كثير يتجلى من معاودة النظر فيه ومقابلته بغيره

من نسخ المصاحف الشريفة للأستاذ الحافظ عثمان أو لغيره ممن مضى على شاكلته .

ولزعيمنا الفضل الكبير في احياء هذا الأثر الجليل الذي يمثل الخط العربي في العراق وله الأجر والمثوبة من الله تعالى . والأمل أن يظهر في كل سنة المئورة المباركة أو بضع سنوات منها أثر خالد مثل هذا لتمثيل الخط العربي في العراق فيكون موضع الدراسة والتدقيق والتحقيق لأساتذة الخط والله المعين .

عباس العزاوي